الباب الأول

الأحوال العامة في بلاد المغرب

ثـــلاثة فصـــول

الفصل الأول

جغرافية بلاد المغرب

1. حدود المغرب فى كتب الجغرافيين المسلمين
2. المناطق السهلية و الجبلية والواحات
3. التقسيمات الإدارية و الإقليمية
4. سكان المغرب الإسلامى
   أ. العرب
   ب. القبائل المغربية
5. الموارد المائية: الأنهار، الأمطار، العيون.

الفصل الأول

جغرافية بلاد المغرب

حدود المغرب فى كتب الجغرافيين المسلمين:

أصطلح على جميع البلاد التى تلى مصر غرباً حتى المحيط الأطلسى بما فيها أفريقية الشمالية ، منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة فكان الإغريق يسمون الجزء الشمالى منها الذى يسكنه العنصر الأبيض باسم " ليبو " أو " لوبيا "أو ليبيا فيما كانوا يسمون الصحراء ببلاد الأحباش السود. و لفظ أفريقية Africa أطلقه الرومان على الإقليم الذى يقابل اليوم الجزء الشمالىالشرقى من البلاد التونسية ،وهو يشتمل على قرطاجنة و ما حولها حتى نوميديا، وكان يعرف على عهد الرومان بولاية أفريقية القنصلية. الذى عُرب فيما بعد إلى كلمة أفريقية و قد أطلقه العرب فى بادئ الأمر على جميع بلاد المغرب فيما عدا طرابلس و برقة ثم اقتصر اسم أفريقية بعد ذلك على جميع البلدان التى تلى مصر غرباً حتى بجاية و أطلق اسم المغرب على البلاد التى تلى بجاية غرباً حتى المحيط الأطلسى .

أن أصل كلمة أفريقية مشتق من كلمة أفرى Aphri التى أطلقها الفينيقيون على أهل البلاد الذين كانوا يسكنون مدينتهم يوتكا Uticaوعاصمتهم قرطاجنة ثم عممه اليونانيون على جميع سكان البلاد الذين يسكنون المغرب من حدود مصر الغربية إلى المحط الأطلسى .وقد أجمع المؤرخون و الجغرافيون العرب على أن بلاد المغرب تمتد من طرابلس شرقاً حتى المحيط الأطلسى غرباً وإن من طرابلس إلى الشرق لا يدخل فى اصطلاح المغرب .

ومن الجدير بالذكر،أن الجغرافيين المسلمين تناولوا فى كتبهم وتآليفهم اصطلاح المغرب ، فيشير المؤرخون و الجغرافيون المغاربة ومنهم إبن عبد الحكم إلى أن المغرب هى البلاد التى تلى بجاية حتى بحر (الظلمات) المحيط الأطلسى [1]

---

[1] فتوح أفريقية والأندلسى ص34-42

ويحدد البكرى، أفريقية طولاً من برقة شرقاً إلى طنجة فى المملكة المغربية غرباً[1]. أما الحدود التى رسمها ابن عذارى المراكشى لبلاد المغرب، فهى من تاهرت (عاصمة الرستميين) إلى مدينة سلا ويسميها بلاد طنجة و يدخل الأندلس فى هذا الإقليم [2]، ويذكر عبد الواحد المراكشى تحديدين لبلاد المغرب،الأول ويسميه أفريقية ويبدأ من إنطابلس فى ليبيا شرقاً إلى قسطنطينية فى الجزائر غرباً،والثاني يسميه المغرب ويبدأ من قسطنطينبة فى الجزائر شرقاً إلى مدينة طنجة غرباً [3]، ثم يقول: ما بعد قسطنطينية فهو من المغرب غير أفريقية [4]،ونجد في كتاب السلاوى تحديداً للمغرب ويبدأ من برقة فى ليبيا شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً بما فى ذلك إقليم طرابلس[5].

أما في كتب الجغرافيين المشارقة فهناك تعريفات مختلفة أحياناً، يذكر ابن حوقل،إن المغرب " من مصر وبرقة إلى أفريقية وناحية تنَس إلى سبتة وطنجة "[6] ويجعل المقدسى حدود المغرب من مصر إلى السوس الأقصى وجزيرة صقلية و الأندلس "[7] أما ياقوت فيحدد أفريقية ويجعل ضمنها المغرب بقوله أفريقية إسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية و ينتهى آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس "، ثم يقول أيضاً: "وحد أفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة و الأسكندرية إلى بجاية "[8].

---

(1) المغرب فى بلاد الأندلس و المغرب ص21.

(2) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ج 1 ص5.

(3) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص .347-357

(4) المصدر نفسه ص442

(5) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ج1 ص33.

(6) صورة الأرض ص 062

(7) احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص216 .

(8) معجم البلدان ج1 ص228،229 .

المناطق السهلية و الجبلية و الواحات

ترتبط بلاد المغرب جغرافياً وأثنولوجياً بالإمتداد الطبيعى لجبال الأطلس المتفرعة من المجموعة الألبية التى تتوسط المغرب و تمتد من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق وذلك بسلسلتين:إحداهما شمالية وتسمى جبال الريف التى تمتد قريباً من السواحل الواقعة بين طنجة و مليلة، ثم جبال الأطلس التلى.وثانيتهما، جنوبية تمتد فى الصحراء الداخلية اعتبارا من جنوب وادى السوس عبر الصحراء إلى جبال أوراس وجبال زغوان التى تقع جنوبى تونس.إن سلسلة جبال الأطلس الشمالية، وهى السلسلة الأولى وتنقسم إلى مجموعتين: الأولى جبال الريف أو جبال أطلس الغربية وتظهر فيها جبال أطاس الساحل المتاخمة للنهاية الجنوبية الغربية لجبال سيرا نيفا و الإسبانية و يطلق عليها (جبال شلير)وهى قليلة الإرتفاع وأكثرها إرتفاعاً جبل بنى حسن الذى يبلغ إرتفاعه ما يقرب من ألفى متر،وتكون هذه الجبال شكلاً أقرب إلى القوس يحتضن الساحل الشمالى الممتد من سبتة إلى مليلة، ويترك سهلاً ضيقاً فى هذه المنطقة.أما المجموعة الثانية فهى جبال الأطلس التلى وهى سلسلة تمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى إستمراراً لجبال الريف الساحلية،وتمتاز هذه السلسلة بإرتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية وكذلك نحو أحواض الأنهار الجنوبية المنعزلة بين جبال الأطلس التلى وأطلس المتوسط وخصوصاً فى القسم الغربى من منطقة المغرب الأوسط . أما الجزء الشرقى من هذه المجموعة فأقل إرتفاعاً وأكثر تقطعاً ثم تستمر جبال الأطلس التلى
فى الإمتداد شرقاً حتى تنتهى بجبال خمير فى منطقة المغرب الأدنى.
أما السلسة الثانية فهى جبال الأطلس الجنوبية أو الأطلس الصحراوى ويسميها إبن خلدون(جبال درن)[1] وتبدأ من منطقة المغرب الأقصى وتسمى جبال الأطلس الكبرى وهى أكثر جبال الأطلس إرتفاعاً، كما إنها عديمة الممرات، مما تركت تأثيرها فى منطقة المغرب الأقصى عن سائر بلاد المغرب، ونجد فى هذه السلسلة

---

[1] العبر وديوان المبتدا والخبر ج6 ص100.

(جبال القياشى)الذى يتراوح إرتفاعه بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف متر، ثم تستمر جبال الأطلس الكبرى بإمتدادها إلى المغرب الأوسط،وهى تشتمل على (جبال القصور)و(جبال العمور)و (جبال أولاد نابل) وجبال الزاب) و(جبال أوراس) وتنتهى بـ(جبال زغوان) فى المغرب الأدنى، و أغلب هذه الجبال تكسوها الغابات و تتوجها الثلوج. و يلاحظ أن الهضاب أو السهول المرتفعة تنحصر بين هاتين السلسلتين حيث يشتغل فيها السكان برعى الماشية، وإن أغلب هذه الهضاب تقع بين جبال الأطلس التلى و الأطلس الصحراوى فى المغرب الأوسط،كما تقع إلى شمال سلسلة جبال الأطلس الكبرى ،سلسلة جبال الأطلس الوسطى وتسمى أحياناً الأطلس الصغرى ولكن يغلب عليها طابع الهضاب أكثر من الطابع الجبلى وبخاصة فى الجنوب الغربى منها ، وتبدو واضحة المعالم فى حدودها الجنوبية الغربية حيث تشرف على سهل تادلا وكذلك حدودها الشرقية حيث يجرى هناك نهر ملوية، أما فى الشمال فيقع ممر تازة وهو المدخل الوحيد إلى منطقة المغرب الأقصى، ونتيجة لالتصاقها بجبال الأطلس الكبرى فانه من الصعب تمييزها عنها فى حدودها الجنوبية.

وتعد جبال الأطلس الوسطى، المصدر الدائم لمياه الأنهار والعيون ونلاحظ أن الهضاب المغربية تمتد بين جبال الأطلس الكبرى والوسطى حتى المحيط الأطلسى، ففى منطقة المغرب القصى توجد(هضبة المزيتا) وفى منطقة المغرب الوسط تمتد"هضبة الشطوط" التي تتميز ببحيراتها وبينها يقع ممر تازة .

أما المناطق السهلية فأغلبها يقع على ساحل المحيط الأطلسى و ساحل العدوة والبحر المتوسط، وفى ساحل البحر المتوسط تظهر السهول بمناطق محدودة وأشهر سهول المغرب الأقصى " سهل شاوية "و" سهل دكالة "و" سهل عبدة " أما سهولالمغرب الأدنى الساحلية فتكاد لا تذكر لضيقها وذلك بسبب إقتراب الجبال من الساحل التونسى .

وقد تكونت بعض السهول حول وديان صغيرة تجرى فيها النهار ومنها"سهل ماكتة" و" سهل زيق " في منطقة مدينة وهران بالجزائر و(سهل وادى شليف) فى

منطقة المغرب الأوسط و" سهل وادى مجردة "فى منطقة المغرب الأدنى و" سهل وادى مجردة " فى منطقة المغرب الأدنى و" سهل وادى ملوية " و" سهل مكناس" فى منطقة المغرب الأقصى وكلا هذين السهلين مرتفع.

كما أن هناك مجموعتان من السهول الداخلية:

الأولى تمتد من مصب نهر تنسيفت إلى وادى ملوية ويضمها السهل المطل على المحيط الأطلسى و(سهل سبو) و(سهل ممر تازة) و(سهول ملوية الدنيا) التى تتشكل فيها الطرق الطبيعية الممتدة بين جبال الأطلس ومنطقة المغرب الأوسط؛ والمجموعة الثانية تشتمل على (سهل الحوز) الذى يخترقه نهر تنسيفت ثم منخفض تادلا. أما سهول المغرب الأدنى فى البلاد الليبية والتونسية فتشتمل على سهول داخلية يقع أغلبها حول الواحات، وقد أشار إليها ابن خلدون، فذكر منطقة الجريد جنوب المغرب الأدنى، وهى (نفطة وتوزر وقفصة) وهذه جميعاً تسمى بلاد قسطيلية .[1]

---

[1] المصدر السابق ج6 ص101 .

التقسيمات الإدارية و الإقليمية

بدأت منذ القرن الثانى الهجرى،تظهر فى مسميات العرب لبلاد المغرب مفاهيم وإصطلاحات، تدل على تقسيمات إدارية وأقليمية ثلاثة لهذه البلاد

أولاً:المغرب الأدنى:

وكان يسميه العرب فى كتابتهم وتآليفهم" أفريقية " فيذكر البكرى أفريقية تعنى "صاحبة السماء " كما إنها سميت كذلك لأن أفريقشى بن أبرهة ابن الراتشى غـزا نحوالمغرب حتى أنتهى إلى أرض طنجة فبنى أفريقية فسميت باسمه؛ وقيل سميت بأفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى. وقال آخرون،إنما سُموا "الأفارقة " لأنهم من ولد فارق بن مصريم،وقد زعموا أن إسم أفريقية امرأة ليبيـة سميت ببنت يافوه بن يونش الذى بنى مدينة منفيس بمصر،وقد ملكت هذه المرأة ملك أفريقية أجمع فسمى بها.[2]

لقد أُطلق اسم المغرب الأدنى على هذه البلاد لأنها أقرب إلى الإدارة المركزيـة للدولة العربية الإسلامية ودار الخلافة فى بلاد الشام أو العراق. ويمتـد المغـرب الأدنى من طرابس شرقاً حتى بجاية أو مدينة تاهرت غرباً، وأحياناً يحددها بعض المؤرخين والجغرافيين من خليج سَرت شرقاً حتى المحيط الأطلسى غرباً. ويمكـن القول إستناداً إلى بعض المصادر إن مركز المغرب الأدنى هو مدينة " القيروان ". أما فى الوقت الحاضر فإن هذا المفهوم يشمل ليبيا وتونس وبعض الجزاء الشرقية من الجزائر .

ثانياً: المغرب الأوسط:

ويمتد من مدينة تاهرت شرقاً حتى وادى نهلر ملوية وسلسلة جبال تازة غرباً. ومركز هذا الإقليم مدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية الإباضية وبـالقرب مـن تاريت Tiatat فى وهران Oranفى بلاد الجزائر.

---

[2] المسالك والممالك ج2 ص671.

ثالثاً: المغرب الأقصى:

ويمتد من وادى نهر ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسى غرباً، كما لأنه إمتداد للمغرب الأوسط، ويفصل بينهما نهر ملوية، وتتمثل مناطق المغرب الأقصى اليوم بالمملكة المغربية. كما إن بعض المؤرخين المسلمين يجعل الأندلس ضمن المغرب الأقصى وبعضهم الآخر يعده ضمن المغرب الإسلامى عامة، وإن أفريقية كانت تشمل المغرب الأدنى وليبيا وإقليم تونس حتى مدينة قسطنطينة شرق الجزائر.أما مفهوم المغرب الإسلامى الذى تكرر فى كتب المؤرخين والجغرافيين والبلدانيين فيطلق على جميع المغرب الأدنى و الأوسط والأقصى وربما الأندلس إعتباراً من خليج سَرت شرقاً أو برقة حتى المحيط الأطلسى أو شبه جزيرة إيبيريا. وهناك من يقول إن لفظ المغرب إسم إضافى على مكان فى جهة الشرق وتحديداً على مصر. وقد اكتسب اللفظ مفهوماً جغرافياً وسياسياً خلال التاريخ الإسلامى والتعريف الذى نُعنى به بلاد المغرب الإسلامى يستند إلى ثلاثة أسس، أولها الحواجز الطبيعية مثل الجبال والسهول والأنهار أو المناطق الصحراوية وثانيها التركيب البشرى و السكانى الذى يتحدد فى الأقاليم التى تشكل هذا المفهوم وثالثها، الوضاع الإدارية والظروف السياسية التى تسود خلال الحقب التى مرت منذ الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة، ومهما يكن من أمر فإن مفهوم المغرب الإسلامى، هو سياسى يختلف من عصر إلى آخر. ونقرأ اصطلاح " شمال أفريقية " الذى يشير إلى جميع المناطق التى تقع ضمن كل من تونس والجزائر و المغرب باستبعاد ليبيا وهذا الاصطلاح يتضمن حسب المصادر العربية لفظة " أفريقية " التى كانت تختلط أحياناً بالمفهوم الكلى لكلمة المغرب التى لابد أن تتضمن جميع الدول الواقعة شمال أفريقية ابتداء من ليبيا حتى سواحل المحيط الأطلسى.

سكان المغرب الإسلامى

يتألف سكان المغرب، بعد توطد الفتوحات الإسلامية فيه من عناصر مختلفةوأهمها:

أولاً:العرب

يشكل العرب اليمانيون المضرين الغالبية فى مجموع العرب الساكنين فى بلاد المغرب، وكان يطلق عليهم "عرب المغرب"أو "العرب البلديون" أو "العرب الأفارقة" وأكثرهم من اليمن وأهل الحجاز ويمثلون الأكثرية الساحقة من سكان المغرب.

والظاهر أن هؤلاء العرب هم أنفسهم الذين كانوا التحقوا فى الحملة المتوجهة من مصر إلى شمال أفريقية لغرض الفتح فاختطوا لهم خططاً فى مدينة القيروان وصاروا خلال القرن الأول الهجرى يؤلفون جزءاً كبيراً من سكانه فى القرون التالية ...

ويمكن القول، إن العرب الأفارقة هو فى الواقع من أقدم بيوت العرب المحررين الذين إستقروا بأفريقية منذ تأسيس مدينة القيروان على يد القائد العربى عقبة بن نافع الفهرى، وكان معظم هؤلاء العرب يقيمون فى مدينة "بلزمة" التى تعرضت فيما بعد إلى هجوم بعض القبائل المغربية التى استهدفت الوجود العربى هناك حيث أُبيد أكثر من سبعمائة من وجوه العرب وأبطالهم مما أثار حفيظة عرب أفريقية عامة وفى مقدمتهم عرب تميم وعرب الجزيرة العربية وقبائل عرب الأربس(والأربس قرية كبيرة تقع شمال مدينة تونس) وكذلك بنى باجة حيث انجدوهم ضد هجمات القبائل وتعدياتها.

ولما حل موسى بن نصير والياً للمغرب آزره العرب اليمانيون حتى سنة 96 هـ حيث برز بعد ذلك العرب القيسيون على مسرح الأحداث يقودها الوالى محمد بن يزيد القيسى، غير إن نفوذ العرب اليمانيون لم يلبث إن عاد من جديد فى عهد ولاية يزيد بن أبى المسلم سنة(101-103 هـ) ولكن مع ذلك فان نفوذ العرب القيسيون ازداد انتشاراً في البلاد ولم يسدل الستار عنهم إلا بعد أن تولى بشر بن صفوان اليمانى، ثم استمر العرب اليمانيون يسودون فى البلاد حتى سنة

116هـ،حيث ولى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب الذى كان قيسياً،فأعاد سيادة العرب القيسيين. ومن المفيد القول أن العلاقات بين اليمانية والقيسية فى بلاد المغرب هى فى الحقيقة بين البلدين من عرب المغرب وبين العرب الطارئين عليه من المشرق وهم الشاميون سواء من القيسية أو اليمانية معاً.

والعرب الشاميون هم من القيسيين ومعظمهم كان يناصر أو يقف إلى جانب العباسيين فى صراعهم على السيادة النهائية فى المغرب، وقد انضم اغلبهم للجيش العباسى وأصبحوا فيه من العناصر المهمة التى يمكن الإعتماد عليها فى قمع الحركات والثورات المضادة للنفوذ العباسى هناك، وقد لعب عرب تميم الذين استقروا فى تونس دوراً حاسماً فى الوقوف ضد السيادة غير العربية أما قبيلة صدف العربية فى كهلان التى كانت تقيم هناك وبالقرب من القيروان فقد لعبت هى الأخرى دوراً مؤثراً فى الصراع نتج عنه الموقف المعروف بالميل نحو العرب بصورة عامة فى بلاد المغرب الإسلامى.

ولعل معظم العرب فى بلاد المغرب هم جند أو مقاتلة يمكن استنفارهم فى ظروف معينة وبخاصة فى أوقات الحروب أو التعبئة لها، وعُرف عن هؤلاء الجند أنهم يفضلون أن يقودهم من هو أرفع منزلة ونسباً وبدون ذلك فلقد طالما أعلنوا ثوراتهم وتمردوا بوجه الأمراء أو الولاة أو العمال الذين لا يشدهم اى شعور بالولاء نحوهم.

والعرب فى بلاد المغرب ينقسمون إلى فريقين، الأول وهم الأكثرية الذين يشكلون سكان المغرب وأغلبهم من أعقاب العرب الفاتحين للمغرب الذين كانوا قد سكنوا هذه البلاد وينضم إلى هؤلاء جماعات العرب الذين وفدوا من المشرق فى العصرين الأموى والعباسى واستقروا فى أفريقيا واصبحوا أهل البلاد. أما الفريق الآخر فهم من العرب الوافدين على المغرب فى العصرالعباسى ومن الذين كانوا قد اشتركوا فى الجيوش التى جردها الخلفاء العباسيون لاستكمال فتح هذه البلاد وكان

هؤلاء ألفوا طبقة متميزة عُرفت "بطبقة الجند" وكانت تستقر حيثما تشاء فى أنحاء المغرب وتتمتع بامتيازات كثيرة .

أما فيما عُرف فى تاريخ المغرب الإسلامى " بالطوالع العربية " فإن أول طالعة هى طالعة موسى بن نصير وتتمثل بالجيش الذى قاده هذا القائد وأغلبه من عرب الحجاز الذين عرفوا فيما بعد "بالبلديين" لاختلاطهم بأهل البلاد. وكان هؤلاء قد فضلوا ترك بلادهم والهجرة إلى المغرب للابتعاد عن الإضطهادات الدموية التى كانوا يتعرضون لها،وقد بدأت هذه الإضطهادات فى موقعة (الحرة) وهى منطقة قرب المدينة فى الحجاز حيث استمرت بعد هذه الموقعة وخلال الأحداث التى رافقت حركة عبد الله بن الزبير سنة 63 هـ .

أما الطالعة الثانية فتتمثل بالجيش الشامى الذى كان يقوده كلثوم بن عياض القشيرى لفتح المغرب، ويتألف هذه الجيش من عرب الشام ولعل هذه الطالعة لم تلق ترحيباً من العرب الحجازيين أو اليمانيين وذلك بسب خشيتهم بأنهم ربما يشاركونهم فى الإمتيازات التى أو الحصول على الأراضى والمناطق التى كانوا قد استحوذوا عليها.

وكان يقود الطالع الثانية بلج بن بشر القشيرى،وقدرت هذه الطالعة بحوالى التسعة آلاف رجل أكثرهم من عرب الشام مع أقلية من الجند المصريين. ومن الملاحظ أن هذه الطالعة لم يسبق لها الاستقرار فى بلاد المغرب، بل تهيأت لها الظروف المناسبة للعبور إلى بلاد الأندلس حيث أتيح لها السكنى هناك .

ومن الجدير بالذكر،إن عرب تميم المستقرين فى تونس ينتسب أكثرهم إلى الأغالبة،وقد حازوا لأنفسهم إمتيازات وافرة، غير أن حكام الأغالبة إنقلبوا عليهم وجردوهم من امتيازاتهم وقتلوا جماعة منهم ولابد أن يكون السبب فى ذلك تمويه الأوضاع لصالحهم والخروج عن طاعة الأغالبة وعدم الإمتثال لأوامرهم وخاصة فيما يتعلق بالموقف من العباسيين،حيث إن أغلب عرب بنى تميم من يقف موقفاً مناوئاً للسلطة العباسية والنظر بعين العداء للجيوش العباسية فى المغرب خلال هذه الحقبة ومعروف أن وقوف الأغالبة ضد العنصر العربى فى المغرب كان بسبب

ما أضرموا من فتن وتمردات وثورات مستمرة على المراء والعمال والجباة من بنى الأغلب مما كان يشكل خطراً يهدد كيان دولتهم وأصبحوا بمرور الزمن "يظنون سوءاً بالعرب ويستخفون بهم و يمعنون أحياناً فى الفتك بهم وسفك دمائهم "[1].

ثانياً: القبائل المغربية

وتتوزع هذه القبائل فى جميع أنحاء المغرب الإسلامى من برقة شرقاً حتى المحيط الأطلسى ويؤلفون العناصر السكانية الأصلية لهذه البلاد، وكان الرومان أطلقوا على سكان إقليم مورطانية(منطقة طنجة) اسم مور **Maures** وما لبث هذا الاسم، أن أطلق على سائر سكان المغرب، ويشير ابن خلدون إلى أن أفريقشى بن قيس بن صيفى هو الذى حدد العلاقات بين القبائل المغربية بعد أن فتح المغرب[2]، ومن المرجح إن هذه القبائل تنقسم إلى مجموعتين أولاهم الحضرية التى كانت تسكن المدن والحواضر والقرى الكبيرة وتمتهن الزراعة وتربية الحيوان وبعض الصناعات اليدوية، وثانيهما القبائل الرحل الذين كانوا ينتشرون فى الصحارى ويعيشون على الرعى.

وكانت القبائل المغربية تتفرع إلى بطون وعشائر وتتصف بالشجاعة والخشونة وحب القتال وحدة الخلق كما انقسموا إلى جذمين كبيرين،الأول قبائل البرانس الذين استقروا فى المدن وتحضروا بالحضارة اللاتينية، والثانى جذم متبدٍ يسكن البادية ويسمون قبائل البتر ومنها قبيلة زناته، ولعل هذا التقسيم لا يمكنالأخذ به ،لأن هذه القبيلة من أكثر القبائل حضارة وعمراناً على حد قول ابن خلدون[3]، مما يجعلها فرعاً مستقلاً عن سائر القبائل الأخرى، ثم إن المتحضرين كانوا قلة ضئيلة بالنسبة للمبتدين الذين يؤلفون السواد الأعظم من سكان البلاد .

---

[1] ابن عذارى،البيان المغرب ج1 ص130 .

[2] العبر وديوان المبتدا والخبر ج6 ص88 .

[3] المصدر نفسه ص90 .

أما التفسير اللغوى لكلمتى البرانس والبتر، فتعنى الأولى القبائل المتدثرون بالبرنس والثانية بانهم العارون من الثياب، ولكن هذا التفسير لا صحة له فليس لزاماً على البترى أن يكون عارياً من البرانس كما أنه ليس شرطاً أن يكون البرانس مرتدياً له.

والقبائل البرانسية سبع قبائل: أوربة وصنهاجة وكتابة ومصمودة وعجيسة وأريفة وأزدواجة، وقيل عشرة فيضاف إليها لمطة وهكسورة وجزولة [1]. وتعد صنهاجة بنو زيرى ابن مناد والملثمون(المرابطون) وقد غلب على صنهاجة طابع البداوة فتفرقت فى أنحاء المغرب. وأكبر قبائل صنهاجة قبيلة زناجة التى كانت تتخذ من جبال الأطلس المتوسط جنوبى تازة حتى منطقة بنى حلال موطناً لها، كما احتلت بعض قبائل صنهاجة جزءاً مهما من إقليم الريف، واحتضنت قبائل أخرى من صنهاجة بمنطقة آزمور .

أما قبيلة كتامة فقد لعبت دوراً مهماً فى القيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب، كما تعد قبيلة مصمودة من أهم قبائل البرانس حتى إن بعض المؤرخين يجعلها فرعاً قائماً بذاته. ومن قبيلة مصمودة تخرج قبيلة غمارة التى تحتل منطقة العدوة من الريف وقبيلة برغواطة وهم سكان تامسنا وأهل جبل درن، ومن مصمودة، المستقرون فى السهول ومنهم قبيلة دكالة التى تنزل جنوبى وادى أم الربيع وقبيلة رجراجة على وادى نهر تنسيفت وإن جميع المصامدة متحضرون قد تعودوا حياة الإستقرار فى المدن.

وتنقسم قبائل البتر إلى أربع قبائل هى: ضريسة ونفوسة وأداسة ولواتة وتتفرع ضريسة إلى قبيلتين هما:مكناسة و زفاتة ويخرج من قبيلة زناتة قبائل:جراوة ومغراوة وبنو يفرن وبنو زيات وبنو مرين .

أما من حيث الجنس فهناك نوعين مختلفين لهذه القبائل، الأول وهو الأغلبية من سكان البلاد يتميز بلونه الأسمر وشعره الأسود ورأسه المستدير وخديه البارزين وأنفه القصير وجبهته المقوسة وهى الصفات نفسها التى تتوفر فى سكان

---

[1] إبن خلدون، المصدر السابق ص 90.

جنوبى أسبانيا وإيطاليا وفرنسا، والثانى ويقتصر على سكان الريف والشلوح فى منطقة المغرب الأقصى وسكان جبال جرجرة فى منطقة المغرب الأوسط ويتميز بشقرة لون الشعر وزرقة العينيين واستطالة الرأس ودقة الأنف ورقة الشفتين وتسطح الجبهة[1].

ومن الجدير بالذكر أن العداء كان مستكماً بين قبائل البرانس والبتر فقد حالفت قبيلة زناتة البترية المسلمين الفاتحين لبلاد المغرب منذ وطأت أقدامهم أرض هذه البلاد، فيما تولت بعض القبائل البرانس مهمة مقاومتهم والحيلولة دون إنتشار الإسلام بين قبائل المغرب، كما حالفت قبيلة كتامة البرانسية الفاطمين فى المغرب وخدمت مصالحهم فى حين عقدت قبيلة زناتة البترية تحالفاً مع أمويى الأندلس الذين كانوا يشكلون الحزب المعارض للعباسيين؛ وبعد ظهور العلويين فى المغرب ممثلاً بالأدارسة، نشطت صنهاجة البرانسية لمحالفتهم.

ومن الممكن من أمر فأن قبائل البرانس كانوا يتميزون بنشاط سياسى أكثر وذلك بمحاولتهم الظهور ممثلين فى صنهاجة للتغلب على المغرب كله وتاسيس دولة اللمتونيين (المرابطين) كما ظهروا فى دولة الموحدين بقيادة قبيلة المصامدة حيث لعبت كلتا الدولتين دوراً رئيسياً على المسرح السياسى فى المغرب والأندلس، ولا غرو فإن كثيراً من المؤرخين، يعللون تاريخ المغرب وأحداثه على ضوء الصراع السياسى و الإجتماعى والدينى بين قبائل البرانس وقبائل البتر [2].

أما انتشار الإسلام بين القبائل المغربية فيصح أن نشير إلى الدور الذى قام به والى أفريقية عقبة بن نافع الفهرى حيث مهد الطريق أمامها للدخول إلى الإسلام فأبتنى مدينة القيروان سنة 50هـ/675 م لتكون مهداً لبعض القبائل واتخذ من مسجدها الجامع مركزاً لبث الإسلام وتعميقه بين صفوفهم ثم استمر الولاة العرب

---

[1] د.السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص20-21 ،نقلاً عن:
Andre Julien,Hisoire " Afrique du Nord,P.50-53, Tevrasse(Henri) I,art Hispano Mauresque des orginines au ,p.17

[2] ابن عذارى، المصدر السابق ج1 ص37؛ إبن الأثير، الكامل فى التاريخ ج3 ص34؛ د.السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ج2 ص 248.

بعده يواصلون سياسة نشر الإسلام وقد توج ذلك بدخول قبيلة أوربة وأصبحوا قوة فى الجيش الإسلامى. وتذكر المصادر المتوفرة أن بعض الولاة فى المغرب ومنهم حسان بن نعمان انتهجوا سياسة المؤاخاة بين القبائل فجندوا منهم أجناداً فى الجيش الإسلامى وعهدوا إلى ثلاثة عشر فقيهاً من كبار النابغين بتعليم بعض القبائل القرآن ومبادئ الإسلام واتخذوا من المساجد مراكز لهذا النشاط[1] كما أسسوا مدينة تونس حيث ضمت العلماء والفقهاء والمعلمين لتثقيف القبائل بالعلوم الدينية وأصول الشريعة ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى غلب الإسلام على المغرب.

ومن المفيد أن نذكر أن قبائل البرانس الرئيسية وهى أوربة وصنهاجة ومصمودة وكتامة قد حققت لها دوراً سياسياً كبيراً فى ظل الإسلام سواء بأسيسها الإمارات مستقلة تمتاز بالأصالة أو بموالتها للحركات السياسية والفكرية التى تهيأ لها تأسيس أنظمة سياسية فى المغرب، إن هذا الدور الذى مثلته قبائل البرانس جعلها فى مصاف القبائل المغربية الرائدة فى صنع الشخصيات والزعامات القديرة فى الحياة السياسية سواء فى بلاد المغرب أو على نطاق العالم الخارجى[2]،كما يلاحظ أن هناك حضوراً ملموساً لقبائل البرانس دون البتر فى الحروب والمعارك والثورات التى شهدها المغرب وذلك على اغلب الأحتمال بسبب كثرتهم حيث أشار إلى ذلك ابن خلدون من طرف خفى قائلاً " أن البرانس أوفر القبائل و أكثرهم عدداً فلا يكاد قطر من القطار يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط حتى زعم الناس انهم الثلثان من مجموع القبائل" [3]

غير أن بعض القبائل المغربية أصيبت بخيبة أمل عندما صدموا يتعسف بعض الولاة من الأتيوبيين أومن العباسين وتسلطهم على ممتلكاتهم ورقابهم وإرهاقهم

---

[1] ابن عذارى، المصدر نفسه ص37، البلاذرى، فتوح البلدان ج2 ص273؛ ابن كثير، البداية والنهاية فى التاريخ ج9 ص 185.

[2] د.موسى لقبال، دور كتامة فى تاريخ الخلافة الفاطمية ص67.

[3] العبر وديوان المبتدا والخبر ج6 ص152.

بالضرائب والجبيات والمغارم؛ وفى هذا الصدد يمكن أن نشير إلى ولاية عبيد اللى الحجاب على أفريقية سنة 114 هـ التي تمثل قمة الإسراف فى هذه السياسة [1].

ولكن فى خلافة عمر بن عبد العزيز تم التحوّل إلى سياسة جديدة تقوم على إقامة العدالة واستبعاد الولاة والعمال والجباة الذين عرفوا بالظلم والتعسف، كما تم تعيين عدد من كبار الفقهاء المشارقة للاستهداء فى فهم أصول الدين وفروعه والسير والتوحيد والشريعة إلى جانب علوم اللغة والفلك والعلوم الإسلامية وأصبحت المساجد فى القيروان وتونس وتلمسان وأغمات هيلانة ومسجد الرباطى وجامع الزيتونة مراكز متآلفة ومعاهد للدراسة والتحصيل فى العلوم الدينية وعلوم العربية وسائر صفوف المعرفة، وهكذا يمكننا مجاراة ما ذهب إليه الدكتور/ موسى لقبال، أن الفتح الإسلامى كان فى جوهره إعترافاً بالسيادة للدولة العربية الإسلامية ولم يكن يعنى فى حقيقته دخولاً فى الإسلام ولا تقريباً، فاعتناق الإسلام سيكون من عمل القبائل المغربية أنفسهم، أمل التعريب فإنه يستوجب الإنتظار قروناً لكى يتم ويكتمل[2].

---

[1] الرقيق القيروانى، تاريخ أفريقيا والمغرب ص109، ابن الأثير، الكامل ج5 ص69؛ ابن عذارى، البيان المغرب ج1، ص52.

[2] دور كتامة ص 88.

الموارد المائية، الأنهار، الأمطار، العيون

يتحدث اليعقوبى الذى كان يتجول فى منطقة المغرب عامة وفى منطقة المغرب الأقصى بصورة خاصة عن النهر العظيم الذى يقال له نهر(فاس) وهو" أعظم من جميع أنهار الأرض"[1] وربما تكمن أهميته فى الإعتماد عليه فى الإرواء الزراعى. ويؤكد ابن حوقل أن هذا النهر "كبير غزير المياه"[2] مما ساعد إلى تحويل منطقة فاس إلى أراضٍ خصبة صالحة للإنبات الزراعى. كما يقول البكرى فى معرض حديثه عن مدينة فاس "وعلى دار الرجل فيها رحاه وبستانه بأنواع الثمر وجداول الماء تخرق داره " [3].

يبدو مما جار به هؤلاء المؤرخين أن منطقة مدينة فاس حاضرة الأدارسة كانت وفيرة المياه حيث يزودها نهر فاس فضلاً عن كثرة " العيون التى تزيد على الستين عينا، فكانت مياهها تفيض على الأرض الفسيحة فتروى الغياض ذات الأشجار الملتفة المطردة العيون والأنهار" [4].

أما النهر الآخر فهو نهر ملوية الذى يسميه اليعقوبى نهر "زيز" فتقوم الزراعة على المياه التى يوفرها هذا النهر والذى تقع على منحنياته مدينة سجلماسة عاصمة إمارة بنى مدرار فى منطقة المغرب الأقصى وأن جميع المناطق التى تحيط بالمدينة هى سهول فيضية صالحة للزراعة، إلى جانب ذلك فقد كانوا يحفرون الخلجان ويشقون القنوات ويهيئون الأحواض وخصوصاً عندما يفيض هذا النهر بفرعيه الشرقى والغربى، لذلك شهدت المنطقة تقسيماً إلى أحواض زراعية تملؤها الفروع والقنوات والجداول التى يغذيها النهر طوال موسم الأمطار.

---

[1] البلدان ص357.
[2] صورة الأرض ص 90.
[3] المغرب فى بلاد أفريقية والمغرب ص117 .
[4] البكرى ،المصدر نفسه ص118 .

وفى منطقة المغرب الأوسط يشاهد الأصطخرى وهو من أهل القرن الرابع الهجرى، مدينة تاهرت وقد أحدق بها الأنهار ونبضت حولها الأعين.[1]

كما يشير ابن حوقل إلى أن أهل تاهرت "لهم مياه كثيرة تدخل بيوتهم على أكثر دورهم "[2] ، أما البكرى فهو أكثر إطلاعاً فيقول عن تاهرت إنها " تقع على نهر يسمى " مينة " ونهر آخر يجرى من عيون تجتمع يسمى "تاتش" ومنه شرب أهلها وأرضها " [3].

وإذا استعرضنا وديان الأنهار التى كانت تخترق المناطق التى تقع تحت نفوذ إمارة الرستميين فى المغرب الأدنى والأوسط فإننا سنقرأ أهم هذه الوديان ومنها "وادى نهر شلف " الذى يتفرع منه نهر " مينة " حيث يمتد مجراه حتى يصل إلى مدينة تاهرت من جهة الجنوب، ووادى نهر" سوفجج "الذى يتجه شرقاً فيلتقى بوادى نهر"الفرعة " ثم بوادى نهر " الوحش " كما إن كمية الأمطار التى كانت تسقط بغزارة، تؤثر فى تكوين السهول الخصبة. فيذكر النفوس إن موقع تاهرت فى مكان" جيد الهواء كثير المياه، وقد افادو كثيراً من هذه المياه فشقوا القنوات للزراعة " [4].

وأهتم المرابطون بتوفير المياه اللازمة لشرب الناس والدواب فأنشأوا الصهاريج الكبيرة وعملوا السقايات واستغلوا العيون وخصوصاً فى منطقة مدينة مراكش، كما بدأ الموحدون عهداً جديداً بعد المرابطين فى استكمال جلب المياه وصناعة الأسقيات واستغلال العيون والآبار إلى مدينة مراكش والمدن الأخرى. وفى مدينة " قابس " احدى المدن التونسية فى المغرب الأوسط، ويذكر البكرى أن فيها الماء من عين خرارة(أى أنها تشكل شلالاً يصب الماء من أعلى الجبل)وفى مدينة "القصرين" فى المنطقة نفسها،عين ماء ثرثار تتشعب منه أنهار تسقى زرعهم ونخلهم وثمارهم"[5].

---

[1] المسالك والممالك ص34.

[2] صورة الأرض ص 86.

[3] المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص 66-67 .

[4] المسالك والممالك ج2ص663.

[5] المصدر نفسه ص666.

الفصل الثانى

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

1-محاولات الفتح الأولى

2-الفتوح الإسلامية في ليبيا"المغرب الأدنى"

3-الفتوح الإسلامية في تونس"المغرب الأدنى "

4-الفتوح الإسلامية في الجزائر "المغرب الأوسط والمغرب الأقصى"

الفصل الثانى

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

محاولات الفتح الأولى:

لم تدخل بلاد المغرب فى حوزة الدولة العربية الإسلامية، دفعة واحة بل مرت بسلسلة من المعارك والحروب، استمرت حوالي السبعين عاماً متوالية بدأت من عام 21هـ/642 م وذلك فى السرية الأولى التى قادها عقبة بن نافع الفهرى،الذى يُعد من أكابر التابعين وأفاضلهم ، بعد اشتراكه فى فتح بلاد مصر مع القائد العربى المعروف عمرو بن العاص، وانتهت بالحملة التى قادها موسى بن نصير واخضع فيها جميع المغرب الأقصى حتى المحيط الأطلسى عام 90هـ /708 م .

غير أن هناك بعض المعلمات تشير إلى أن المسلمين، بفتح المغرب عقب فتح مصر بعامين، أى فى عام 22هـ /643 م ،حيث سار عمرو بن العاص غرباً متوجهاً إلى برقة فدخلها وصالح أهلها على الجزية ، ثم دخل طرابلس الغرب بعد حصار دام شهراً ثم أوعز لقائده عقبة بن نافع لاستكمال الفتح إذ سار إليها على رأس حملة استطلاعية من برقة حتى لوبيا (ليبيا) وأفريقية فأفتتحهما [1] وبذلك تكون ليبيا قد تم فتحها على يد القائدين العربى عمرو بن العاص وعقبة بن نافع عام 22هـ/643 م. وفى خلافة عثمان بن عفان (رض) دخلت الجيوش الإسلامية فى قفار أفريقية وذلك عندما عبد الله بن أبى سرح ، عمرو بن العاص، حيث سار إلى أفريقية فى نحو عشرين ألف مقاتل[2]، وسارت معه حامية بقيادة عقبة بن نافع، وكان عمرو بن العاص قد ولاه على تلك الأنحاء[3] .

ولعل من المفيد أن نستعرض من محاولات المسلمين فى فتح بلاد المغرب وتخليصها من السيطرة البيزنطية، حيث كللت بالإنتصار، وانضواء هذه البلاد تحت

---

[1] ابن الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ص71 .

[2] ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ج1 ص 8 .

[3] ابن الحكم ، المصدر السابق ص 187 .

لواء الدولة العربية الإسلامية. وقد بدأت هذه المحاولات منذ الربع الأول من القرن الأول الهجرى بانتشار جيوش عمرو بن العاص فى برقة ومشارف طرابلس الغرب، إذ تُعد الباب للدخول و التوغل فى بلاد المغرب، فقد استطاع عمرو بن العاص أن يكسب تأييد بعض القبائل المغربية إلى جانبه ويدخلها الإسلام فضلاً عن جهود عقبة بن نافع فى هذا الصدد حيث كسب هو الآخر عدداً من هذه القبائل التى لأصبح لها دور مهم فى إسناد الجيش الإسلامى، ولدينا تفصيلات مهمة أوردتها المصادر[1] عن وصول الجيوش الإسلامية إلى مناطق واسعة من ليبيا وتونس، غير أننا يجدر بنا أن نشير إلى الانتصار الحاسم على البيزنطيين عند مدينة "سبيطلة" عام 28 هـ/648 م ،حيث فتح جميع المناطق من برقة شرقاً حتى سبيطلة غرباً.

ولعل من المفيد أن نخلص إلى تفصيلات عن الفتوح الإسلامية فى البلاد الليبية حتى دواخل المغرب الأقصى:

---

[1] يمكن الرجوع إلى المصادر والمراجع الآتية للتوسع :

أ- ابن أبى الحكم، فتوح أفريقية والأندلس ص 34 .

ب- البلاذرى، فتوح البلدان ص 224-226 .

ج- أبو عبيد البكرى، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص 123 .

د- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ج1 ص 8 .

هـ-ابن عذارى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ج1 ص 10-12 .

و-ابن أبى دينار، المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ج1 ص 122 .

ثم المراجع الثانوية:

1-د.حسين مؤنس ، فجر الأندلس .

2-د.السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس .

3-محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس .

4-نص جديد عن فتح العرب للمغرب نشره المستشرق ليفى بروفسنال فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد (المجلد الثانى -1954) .

1- الفتوح الإسلامية فى ليبيا " المغرب الأدنى "

انتشرت الجيوش الإسلامية فى ليبيا يقودها عمرو بن العاص فحين وصوله برقة صالح أهلها على الجزية ثم شرع يعد العدة لفتح مدينة طرابلس بغية التمهيد للدخول إلى أفريقية، وكان لزاماً عليه أن يزحف إلى طرابلس من الساحل والداخل، ففيما يتعلق بدواخل البلاد بعث إليها قائده عقبة بن نافع حيث بلغ مدينة فزان ومنها وصل إلى مدينة زويلة ، وفى غضون أشهر قليلة أصبحت جميع المناطق التى تقع بين برقة وزويلة ،ضمن النفوذ الإسلامى وبذلك ضمن عمرو بن العاص إخضاع الواحات الداخلية التى كانت مصدر تهديد للإستحكامات العسكرية والمواقع الإسلامية فى المدن والمناطق المفتوحة وخصوصاً الساحلية منها. وكانت مدينة طرابلس أخذت من إهتمام عمرو بن العاص ففى عام 22 هـ حاصرأسوارها شهراً ولم يظفر بها ولكنه إرتد إلى المدن المجاورة لها وخصوصاً مدينة صبراته [1]وكان البيزنطيون قد احكموا سيطرتهم عليها ،مما جعله يعاود الكرة على طرابلس باتخاذه خطة تقوم على مباغتهم عن طريق الساحل مستغلاً إنحسار المياه عن سواحلها وبذلك حقق الإستيلاء على الجزء الشرقى منها ، وخلال وقائع فتح طرابلس جرد عمرو بن العاص كتيبة من الفرسان لمعاودة الهجوم على مدينة صبراته مرة أخرى حيث تحصن أهلها داخل الأسوار بعد فرار الحامية البيزنطية التى كانت تدافع عن المدينة، عن طريق البحر فحاصرها المقاتلة المسلمون وما لبثوا إن دخلوا المدينة فى غفلة من أهلها الذين كانوا قد فتحوا أبوابها لتسرح بها ماشيتهم "فلم ينج منهم أحد واحتوى عمرو على ما فيها " [2]

ثم أعد عمرو بن العاص، كتيبة بقيادة " بِشر بن أرطاة " لفتح مدينة ودان فأفتتحها سنة 23هـ وبذلك تم لعمرو بن العاص الإستيلاء على برقة والجزء الشرقى من طرابلس، وعندئذ بادر البيزنطيون إلى تحصين المدن وإقامة الحاميات

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح أفريقية والأندلس ص28 ،ويقول البكرى:أن إسمها " صبرة " وهى بلد معمور تسكنه قبيلة زواغة (المسالك والممالك ج2 ص 665) .

[2] ابن عبد الحكم،المصدر السابق ص 28 .

فيما يلى مدينة صبراته إلى الغرب خوفاً من الزحف الإسلامى وكتب عمرو بن العاص كتاباً إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فتح أفريقيا باتجاه الغرب، وقد جاء فيه: " إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام " ولكن الخليفة رفض الإستمرار فى فتح أفريقية فاضُطر عمرو بن العاص على العودة إلى مصر بعد أن ثبت قائده عقبة بن نافع على المناطق الداخلية المفتوحة فى البلاد الليبية، وقد استطاع هذا القائد أن يستقطب إليه بعض القبائل المغربية مثل قبيلة لواته وقبيلة نفوسة وقبيلة نفزاوة وهى أكبر القبائل حيث دخلت الإسلام وأصبح معظم رجالها ضمن المقاتلة فى الجيش الإسلامى.

وفى عام 49 هـ خرج عقبة بن نافع وبصحبته من القواد العرب: بشر بن أرطاة وشريك بن سحيم المرادى، فنزل بغدامس ثم تابع سيره إلى مدينة ودان فأعاد فتحها بعد أن ترك فرقة من جيشه بقيادة زهير بن قيس البلوى فى منطقة سرت، ومضى عقبة بن نافع إلى قصور فزان وافتتحها قصراً قصراً ثم افتتح قصور كوار واستولى على قصر جاوان ومن هناك انصرف إلى مدينة زويلة التى كانت تُعد منطلقا للفتوح الإسلامية فى الأراضى الليبية.

وبعد الإخفاقات التى منى بها المسلمون لتثبيت الفتوحات الإسلامية فى المغرب نتيجة المقاومة التى إنخرطت بها القبائل المغربية بمساعدة البيزنطيين الذين كانوا يسيطرون على المدن والمناطق، درج حسان بن نعمان الغسانى قائد الجيوش لإسلامية عام 81هـ على إقامة أكبر قاعدة عسكرية فى مدينة برقة استغرق تأسيسها أربع سنوات ،ثم بدأ يترقب وصول النجدات التى وعد بها الخليفة عبد الملك بن مروان لتعزيز هذه القاعدة ،وقد أشاد هناك قصوراً سميت قصور حسان . ولما وصلته الإمدادات وتوافد عليه فرسان العرب ورجالهم زحف بجيوشه لمقاتلة الكاهنة التى يقال لها " داهية بنت ماتية ابن تيغان " ملكة جبال أوراس التى رفعت لواء العصيان ضد المسلمين ،وقد بعثت الكاهنة بابنيها إلى حسان بن نعمان ليطلبا الأمان لنفسيهما فأمنهما، أما هى فقررت أن تحارب المسلمين ،وفى عام 82 هـ إلتقى حسان بن نعمان بجيوش الكاهنة عند منطقة البئر بالقرب من

جبال أوراس فهزمها هزيمة نكراء وسحق أتباعها وقتلها، وبذلك استطاع أن يستأصل جميع أوكار المقاومة ضد المسلمين فى بلاد المغرب الإسلامى عموماً .

2- الفتوح الإسلامية فى تونس " المغرب الأدنى "

بدأت طلائع الجيش الإسلامى تنتشر فى مناطق تونس سنة 28 هـ بقيادة عبد الله بن أبى سرح وذلك لفتح المناطق وصولاً إلى طنجة، وفى طريق زحفها التقت مع جيوش البيزنطيين التى يقودها الحاكم البيزنطى " كريكوريوس " الذى تطلق عليه المصادر العربية " جرجير " بالقرب من المدينة التونسية " سبيطلة " حيث قُتل كريكوريوس وتفرق جيشه وتم الإستيلاء على حصن سبيطلة، ثم تحركت جيوش عبد الله بن أبى سرح نحو حصن الأجم فحاصرته ثم دخلته، ولم يلبث هذا القائد أن عاد إلى مصر مكتفياً بما حققه من فتح معظم البلاد التونسية .وخصوصاً الخط الممتد من سبيطلة إلى مدينة سوسة فى الشمال ثم من سبيطلة إلى مدينة قفصة من الشرق والشريط الساحلى الضيق فيما بين قابس[1] وشط الجريد من الجنوب. ويبدو إن هذه المناطق قد انتفضت على الحاميات الإسلامية أيام الخلافة الأموية،مما جعل معاوية بن حديج الكندى يقود جيشاً عدته عشرة آلف مقاتل وقد استصحب معه عدداً من قواد العرب منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الملك بن مروان ويحيى بن الحكم بن العاص حيث وصلوا بكتائبهم جنوبى قرطاجنة التى لا تبعد عن مدينة تونس إلا بضعة كيلو مترات، وهناك واجهوا البيزنطيين بالقرب من مدينة سوسة إذ دخلها المسلمون بقيادة عبد الله بن الزبير بن العوام بعد الهزيمة التى ألحقوها بالبيزنطيين. كذلك استطاعت فرقة أخرى من المسلمين بقيادة عبد الملك بن مروان الإستيلاء على مدينة جلولا .ثم اتجه معاوية بن حديج بأسطوله فى البحر المتوسط إلى جزيرة

---

[1] وهى مدينة جليلة مسورة بالصخر من بنيان الأول ذات حصن وارباض وأسواق وفنادق وجامع وحمامات كثيرة وقد أحاط بها خندق كبير يجرون إليه الماء عند الحاجة(البكرى ج2ص666).

صقلية عام 46 هـ وافتتحها ومضى فى فتوحاته فدخل مدينة بنزرت ثم عرج والمسلمون نحو جزيرة جربة[1] فدخلها .

وفى عام 49هـ تابع عقبة بن نافع فتوحاته فهاجم مدينة قفصة وسقطت بيده واتبعها بقسطيلية واختتم هجومه بموضع القيروان الذى كان أقامه معاوية بن حديج فلم ينل إعجابه وانتقل منه إلى موضع المدينة الكبرى التى عرفت فيما بعد بالقيروان جنوبى مدينة قرطاجنة. وكان عقبة بن نافع قد ابتنى مدينة القيروان سنة 50 هـ بعيدة عن الساحل استجابة للضرورات العسكرية لكى لا يدركها العدو البيزنطى على حين بغتة عن طريق البحر .

والمدينة أشبه بمعسكر حيث اختط عقبة بن نافع دار الإمارة وأقام الناس الدور والمساكن ثم اختط المسجد الأعظم وعمرت المدينة بمختلف أنواع الأبنية والمنشئات والعمائر وشد الناس إليها الرحال واتسعت بالأسواق والمرافق وأصبحت القيروان مركزاً وقاعدة توجه منها الحملات العسكرية الإسلامية على جبال أوراس المواجهة لها.وقد اجتذبت هذه المدينة عدداً كبيراً من القبائل المغربية التى دخلت الإسلام. وفى عام 55هـ تولى قيادة الجيوش الإسلامية فى بلاد المغرب،أبو المهاجر دينار بعد أن عزل معاوية بن أبى سفيان، عقبة بن نافع وكان أبو المهاجر قد نزل فى موضع غير القيروان حيث اختار موضعاً يبعد بمقدار ميلين عن المدينة واختط بها مدينة أخرى وأمر بحرق القيروان، وبدأ بالزحف على المدن التونسية التى لم تُفتح بعد أو التى تمردت على المسلمين فتم له الإستيلاء على مدينة تلمسان ثم شن هجوماً كبيراً سنة 59هـ على مدينة قرطاجنة، ثم تركها بعد أن تخلى له البيزنطيون عن الجزء الواقع جنوبى قرطاجنة. وفى سنة 60 هـ استعاد عقبة بن نافع قيادة الجيوش الإسلامية فى المغرب فعاد إلى القيروان وهو أشد عزماً وقوة فى الفتح ثم أمر بتخريب المدينة التى أقامها أبو المهاجر دينار وأعاد الناس إلى القيروان وترك بها جنداً من

---

[1] وتسمى جزيرة قرقنه فيها آثار بنيان ومراجل للماء وارباض وارضها خصبة (البكرى المصدر نفسه ص 669).

المسلمين استخلف عليهم قائده زهير بن قيس البلوى وأعاد فتح قرطاجنة ثم حاصر المنستير وهى أعظم مدن أفريقية واستولى عليها. وفى خلافة عبد الملك بن مروان سار زهير بن قيس البلوى بجيوشه فى حملة لاسترجاع القيروان بعد أن احتلها البيزنطيون وكذلك لمواجهة كسيلة بن لمزم الذى كان يقود المقاومة ضد المسلمين فى الساحل التونسى والمتحصن فى مدينة قرطاجنة، ولكن، لما بلغ كسيلة، قدوم زهير بن قيس إليه، رحل عن القيروان بجيشه إلى موضع يعرف "ساقية ممس" يقع بين القيروان وتبسا وذلك لحصانته ومناعة موقعه، إذ تقع ساقية ممس هذه على مرتفع من هضبة تتصل بجبال أوراس أما القوات الإسلامية، فقد تمركزت مشارف القيروان ثم بدأت بالزحف نحو العدو وذلك بعد أن عقد القائد زهير بن قيس هدنة مع البيزنطيين الذين اشتركوا معه لكى يعزل كسيلة بن لمزم ويتفرغ لقتاله، وعلى وادى ممس دارت رحى معركة فاصلة أحرز الجيش الإسلامى فيها انتصاراً ساحقاً وقُتل كسيلة ومضى المسلمون يتعقبون فلول جيشه فقتلوا منهم عدداً كبيراً وطاردوا ما بقى منهم حتى نهر وادى ملوية ثم عاد زهير بن قيس إلى القيروان ونظم إدارتها ثم عاد إلى برقة وفى طريقه وبالقرب من طبرق نصب البيزنطيون كميناً له ودارت بين الطرفين معركة غير متكافئة استشهد وفيها زهير ،كما قتل عدد من المسلمين .

وبغياب زهير بن قيس توقفت الفتوحات الإسلامية فى المغرب لمدة أربع سنوات ولكن الخليفة عبد الملك بن مروان، أمر بإعداد جيش كبير مسلح بكل أنواع الأسلحة والمعدات وجعل على رأسه قائداً قديراً هو حسان بن النعمان الغسانى؛ وقد اتبع هذا القائد سياسة تقوم على استمالة القبائل المغربية فانضم إليه عدد كبير من هؤلاء، فزحف إلى القيروان التى كان البيزنطيون قد احتلوها بعد مقتل زهير بن قيس، ثم أعد عدته لمقاتلة ما سمى بملك قرطاجنة البيزنطى فوضع خطة تقوم على الدخول إلى هذه المدينة التى لم تلبث فى كل مرة يدخلها المسلمون يعاود عليا البيزنطيون ويستردونها، ونجحت خطته فقد دخلها، وهربت فلول الجيش البيزنطى إلى مدينة صطفورة وبنزرت فلحقت بهم القوات الإسلامية وهزمتهم. ثم أصبح حسان بن النعمان أمام مشكلة جديدة وهى اجتماع بعض

القبائل المغربية المعادية للمسلمين والتى كانت منضوية تحت إمرة الكاهنة التى سبق أن أطيح بها فى مناطق جبال أوراس وقُتلت،وقد أسرت جيوش هذه القبائل عدداً كبيراً من المقاتلة المسلمين

،فتراجع الجيش الإسلامى إلى برقة،ولم تكتف بذلك بل عمدت القضاء على جميع مظاهر العمران فى منطقة تونس لكى تمحى كل أثر من آثار الفتوحات الإسلامية ، وانتهز البيزنطيون هذه الفرصة فأغاروا على الحامية الإسلامية فى قرطاجنة وقتلوا عدداً من رجالها وسلبوا وغنموا، بيد أن الإمدادات التى كان وعد بها الخليفة عبد الملك بن مروان وصلت إلى حسان بن النعمان فسخرها فى الإستمرار فى الفتوحات فى تونس، فاتجه لتطهير قرطاجنة من الحامية البيزنطية التى اضطرت على الفرار بحراً، فاسترد المسلمون المدينة، ولكن المسلمين كانوا يخشون أن يفاجئهم البيزنطيون من البحر فرأى أن يؤسس مدينة أخرى تجاه قرطاجنة فى موقع البحر تشرف على قرطاجنة، فبنى تونس على بعد كيلو مترات شرقى قرطاجنة.

وكانت تونس قبل ذلك مدينة قديمة يطلق عليها " تنيس " ولم تكن عند بنائها إلا قرية صغيرة[1]فحولها حسان بن النعمان إلى قاعدة بحرية تقلع منها الأساطيل، وأنشأ بها داراً لصناعة السفن حيث عول على الصناع الأقباط فى صناعة المراكب، ثم شيد بها مسجداً جامعاً وداراً للإمارة وثكنات وحاميات للجند. وقد قدر لهذه المدينة الصغيرة فى بدايتها أن تكون أعظم ثغور أفريقية بعد مرور ثلاثة عقود من الزمن على يد والى أفريقيا عبيد الله بن الحبحاب، حيث نمت واتسعت وأقبل الناس إليها من جميع الآفاق وأقيم فيها أعظم جامع بالمغرب الأدنى وهو جامع الزيتونة ثم بدأ حسان بن النعمان يوجه عنايته لتنظيم البلاد من الناحية الإدارية فدون الدواوين ونظم الخراج وعمل على نشر الإسلام واللغة العربية. وهكذا يمكن القول، إن حسان بن النعمان، فتح بلاد المغرب عسكرياً وثقافياً واجتماعياً فى آن واحد.

---

[1] ذكر البكرى، أن تونس كانت تسمى قد يما "ترشيش"ويقال لبحرها بحر "واد" ويسمى مرسى "رادس " (المغرب فى ذكربلاد أفريقيا والمغرب ص37).

الفتح الإسلامي في المغرب الأوسط والأقصى:

انطلق عقبة بن نافع بجيوشه مكتسحاً شمال أفريقية كله ووهو يطارد البيزنطيين ويدمر معاقلهم حتى دخل المغرب الأقصى سنة 62هـ حيث اترب من مدينة طنجة واستمر مندفعاً بقواته حتى مدينة وليلة أو"وليلي" كما دأب على مطاردة القبائل المغربية التى ساندت البيزنطيين حتى مدينة درعة ثم واصل هجومه الكبير حتى وطئت قدماه ارض السوس الأقصى وانتهى به المطاف إلى مدينة " إيغيران يطوف " التى تقع على ساحل المحيط الأطلسى، وكان قد افتتح فى طريقه مدن أغمات وريكة ووادى نفيس وإيجلى القريبة من مدينة دركالة ثم انتشرت جيوشه فى مدينة ماسه الواقعة أيضاً على المحيط الأطلسى، غير إنه عاد إلى القيروان ماراً بإيغيران يطوف وتارنا ومنها إلى رباط شاكر فدخل إقليم دركالة حتى بلغ طنجة ومنها إتجه نحو المغرب الأوسط فلما بلغ مدينة طبنة أمر بتفريق جيشه والمسير فى طرق أخرى وسار هو فى منطقة جبال أوراس ولكنه ما كاد يقترب منها حتى اعترضه كسيلة بن لمزم مع قبيلة أوربو البرانسية بجموع جيشه الذى يقدره المؤرخون بخمسين ألفاً وقطع على عقبة بن نافع خط الرجعة ثم دارت معركة عند مدينة تهودة سنة 63هـ واستشهد فيها عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار واستشهد معهما عدد كبير من المسلمين وأُسر الباقون ولكن صاحب قفصة اقتداهم وبعث بهم إلى زهير بن قيس البلوى الذى عاد هو الآخر إلى قصره فى مدينة برقة وأقام فيها حتى أيام عبد الملك بن مروان واستولى كسيلة على مدينة القيروان سنة64هـ وأسفر ذلك عن خروج أفريقية من أيدى المسلمين وضاعت بذلك جهود أربعين عاما قضاها المسلمون فىالجهاد والفتوح، غبأير أن المسلمين لم يفقدوا كل شئ، اذ تركوا كثير من القبائل المغربية كانت قد تحولت إلى الإسلام فوقفوا ضد كسيلة بن لمزم.

ولما تولى موسى بن نصير المغرب خرج فاتحاً من أفريقية إلى طنجة فتتبع بعض القبائل التى لا تزال معادية للفاتحين المسلمين ومنها قبائل هوارة وزناتة وكتامة. وفى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك عظمت منزلة موسى بن نصير لدى

الخليفة، فأول عمل عسكرى له هو الدخول فى مدينة طنجة إذ فتحها وترك فيها حامية كبرى على رأسها القائد طارق بن زياد، ثم واصل فتوحاته فاجتاز نهر درعة وأرسل حملة تأديبية إلى مدينة سجوما التى خرجت على المسلمين وكان إلى رأس هذه الحملة أولاد عقبة بن نافع وهم عياض وعثمان أبوعبدة ، وهكذا استكمل موسى بن نصير فتح الجزائر وبلاد المغرب الأقصى ولم تستعص عليه سوى مدينة سبتة لمناعتها ووصول الإمدادات إليها من أسبانيا القوطية عن طريق البحر وكان يحكمها من قبل القوط فى أسبانيا حاكم إسمه خوليان **Julian** ويسميه العرب يوليان وقد اختلفت المصادر فى شخصيته فبعضها يذكر أنه قوطى والآخر يزعم أنه بيزنطى وربما كان حاكماً على إقليم موريطانيا الطنجية الخاضعة للإمبراطورية البيزنطية فلما عجز البيزنطيون عن حمايته طلب الإنضمام إلى اسبانيا القوطية .

وأغلب الظن، أن انصراف موسى بن نصير عن فتح سبتة وكان بمستطاعه ذلك بسبب ما أستجد من أفكار لهذا القائد الإسلامى فى فتح بلاد الإندلس ووضع الخطط والإعداد لها بالإستعانة بيوليان ورجاله ومعداته.

الفصل الثالث

عصر الولاة

1-ولاة المغرب فى العصر الأموى

أ-موسى بن نصير

ب- محمد بن يزيد

ج- اسماعيل بن عبدالله بن أبى دينار

د-يزيد بن أبى مسلم

هـ- بشر بن أبى صفوان

و- عبيدة بن عبدالرحمن السلمى

ز- عبيد الله بن الحبحاب

ر-عقبة بن قدامة

ح- كلثوم بن عياض القشيرى

خ-حنظلة بن صفوان

2- سياسة الإنفصال فى المغرب الإسلامى

الفصل الثالث

عصر الولاة

وبعد أن توطد الفتح العربى الإسلامى ورسخ الإسلام فى بلاد المغرب وتبددت آمال المقاومة على يد القائد العربى موسى بن نصير وانتهى آخر صوت لها، أصبحت هذه البلاد فى عداد الدولة العربية الإسلامية وتولاها عدد من الولاة منذ أن فُصلت عن ولاية مصر وجعلها ولاية تابعة للخلافة العباسية بصورة مباشرة.

ولاة المغرب ابتداءاً من موسى بن نصير:

1-موسى بن نصير:

وبعد أن عُزل حسان بن النعمان من قيادة الجيوش الإسلامية فى بلاد المغرب تولى موسى بن نصير على أفريقية بأمر من عبد العزيز بن مروان والى مصر ولاشك فى أن موسى بن نصير هو من أقدر رجال الدولة الأموية وأكثرهم كفاءة وأخلصهم لها، وكان الخليفة عبد الملك بن مروان قد عينه عاملاً على العراق ثم ولاه على أفريقية فأفتتح ولايته بفتح قلعة زغوان وهى من المواقع التى استعصت على الفاتحين الأوائل. ويصح القول إن فتح بلاد المغرب الإسلامى قد تم أغلبه على يد هذا القائد ولم يبق منه سوى المغرب الأقصى لذلك وضع خطة تقوم على تتبع القبائل التى لاتزال تقف ضد الإسلام وخرج على رأس جيش مؤلف من وجوه العرب فأخضع قبائل هوارة وزناتة وكتامة . ولما توفى الخليفة عبدالملك بن مروان سنة 86هـ وولى الخلافة بعده ولده الوليد عظمت منزلة موسى بن نصير لديه واشتد عجبه به مما أتاح لهذا الأخير المضى فى تنفيذ خطته لاستكمال فتح المغرب الأقصى حتى بلغ مدينة طنجة حيث ترك فيها حامية كبرى على رأسها قائده طارق بن زياد، وكان عدد جند هذه الحامية يتجاوز تسع وعشرين ألفاً أغلبهم من القبائل المغربية التى أسلمت وحسن إسلامها. ولأول مرة فى تاريخ المغرب يجتاز موسى بن نصير بجيشه نهر درعة ويقوم بإرسال حملة تأديبية إلى مدينة سجوما التى تسكنها بعض القبائل المغربية التي اشتركت في المعركة ضد عقبة بن نافع التى أدت إلى مقتله. وكان قادة هذه الحملة أبناء عقبة بن نافع (عياض وعثمان وأبوعبدة) فانتقموا لأبيهم من قتلته شر إنتقام، وهكذا نجح موسى بن نصير فى إخضاع بلاد المغرب للإسلام ولم تستعص عليه سوى مدينة

سبتة لمناعتها ووصول الإمدادات إليها من إسبانيا القوطية عن طريق البحر. ولكن بعد أن تطلع موسى بن نصير إلى فتح الأندلس تم إحتواء حاكم سبتة "خوليان " ويسميه العرب يوليان فتكون سبتة حينئذ قد أصبحت ضمن المغرب الإسلامى .

2- محمد بن يزيد

تولى الخليفة الآموى سليمان بن عبدالملك الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد فاستشار بعض رجال حاشيته فيمن يصلح لحكم ولاية المغرب وذلك بعد عزله لعبد الله بن موسى بن نصير الذى ولاه أبوه، فقيل له: "محمد بن يزيد " مولى قريش، فاستدعاه إليه وعهد له بالولاية قائلاً: " قد وليتك أفريقية والمغرب كله ".

وبعد أن استقر محمد بن يزيد بأفريقية قام بالإصلاحات الآتية:

أ- عُرف بسيرته الحسنة فى ولايته حيث ساد السلم و الأمن جميع أنحاء المغرب فنعم السكان خلال حكمه بالإطمئنان والعدل.

ب-كما أتاحت له الظروف إستكمال فتح المناطق الداخلية فى المغرب الأقصى وإرسال البعوث والسرايا إلى الثغور البعيدة والجزر المجاورة لنشر الإسلام أو تثبيته فى النفوس، ومن بين من أرسلتهم الخلافة بعض التابعين ومنهم عبد الرحمن بن يزيد المعافرى وسعيد بن مسعود التجيبى واسماعيل بن عبدالله الأنصارى وعبدالرحمن رافع التنوخى [1].

ج- إن السياسة التى ساد عليها محمد بن يزيد، كان لها أكبر الأثر فى نفوس سكان المغرب والجند، فقد استجابوا لإجراءاته الإدارية والسياسية والمالية والعسكرية.

3- اسماعيل بن عبدالله بن أبى دينار:

ولاه الخليفة عمر بن عبدالعزيز سنة 100هـ، ويؤكد المؤرخون علو منزلة هذا الوالى وعدوه أحسن ولاة بنى أمية فى المغرب، فقد ورث جده القائد الإسلامى بن أبى دينار صفات الحزم والشجاعة والحكمة وحسن التدبير، إلى جانب ورعه وتقواه، ونقرأ من اصلاحاته:

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب ج1 ص44، المالكى، رياض النفوس ص64-76.

أ- نشر الإسلام والثقافة العربية بين سكان المغرب حتى إن المؤرخين أجمعوا على أن سكان المغرب وأفريقية أسلموا جميعهم فى أيامه.

ب- استمراره في سياسة التعريب التى كان ساروا عليها، وقد سارت هذه العملية جنباً إلى جنب مع انتشار الإسلام لذلك امتاز الفتح العربى للمغرب بانه فتح ثقافى، إذ حمل الفاتحون معهم اللغة والدين ممثلين فى القرآن الكريم الذى هو قوام دين ودستور سياسة وبحر أخلاق و قاموس لغة و ديوان ثقافة ، وقد رسخ هذا الإتجاه فى عهد هذا الوالى .

ج- بناء المساجد والجوامع ودور العلم فى مختلف أنحاء المغرب ومنها مسجد تلمسان و أغمات هيلانة و المسجد الرباطى و جامع الزيتونة. وكانت هذه المساجد بمثابة المدارس والمنشآت العلمية والجامعات لنشر العلم والثقافة اللغة العربية إلى جانب الطب وعلم الفلك والعلوم الدينية والشرعية.

4- يزيد بن أبى مسلم:

ولى سنة 102هـ بعد وفاة الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وقد عزم على تطبيق سياسة مغايرة لسياسة سلفه الوالى اسماعيل بن عبدالله بن أبى دينار ولكن لم يلبث هذا الوالى إن قُتل بعد شهر واحد من ولايته.

1-محمد بن يزيد (الولاية الثانية):

لم تستمر ولايته سوى عدة أشهر.

2-بشر بن صفوان الكلبى

ولاه الخليفة الأموى يزيد بن عبدالملك، حيث قدم من مصر إلى القيروان واصطنع مع السكان سياسة تقوم على العدل والمساواة وحسن المعاملة، وقد نجح فى تمهيد بلاد المغرب وتسكين أرجائه من الفوضى والإضطرابات بحسن سيرته ولينه فساد فى عهده السلم والهدوء.

3-عبيدة بن عبدالرحمن السلمى:

قام فى ولاية المغرب فى سنة 110هـ ولم يستجب للسياسة التى كان الولاة الأمويون يسيرون عليها فى معاملة السكان بالتعسف والإضطهاد.

4- عبيد الله بن الحبحاب:

أخفق فى سياسته تجاه المغرب وأفريقية، حيث أساء معاملة السكان ونشر الأضطهاد والظلم والتعسف مما أثار حفيظتهم وسخطهم فتسبب فى الإنقسامات

والفوضى المر الذى جعل الخليفة هشام بن عبدالملك يعزله. غير أن المؤرخين يقررون إنه أثبت مهارة كبيرة فى ادارة شئون مصر وهو والياً عليها .

5- عقبة بن قدامة:

تولى سنة 114هـ فجرد حملة عسكرية بحرية لفتح جزيرة صقلية ولكنها أخفقت ولم تمض على ولايته سوى عدة أشهر.

6-كلثوم بن عياض القشيرى:

وصل إلى أفريقية سنة 123هـ فأفتتح ولايته بارسال جيش للقضاء على المنتفعين والخارجين على سلطة الخلافة الأموية وتوجيه بعض الكتائب إلى المدن والمراكز لتعزيز السلطة المركزية فيها ومن هذه المدن القيروان وتلمسان وطنجة وقابس، وكان من نتيجة ذلك أن حصلت بعض الاشتباكات فقتل على أثرها سنة 124هـ.

حنظلة بن صفوان:

وكان عاملاً من عمال الخلافة الأموية فى مصر. وقد درج هذا الوالى على سياسة سلفه كلثوم بن عياض فى التصدى للإضطرابات والثورات التى قامت فى نعض مناطق المغرب وأفريقية إذ استطاع أن يخمدها حتى وصلت أخبار انتصاراته على أعداء الخلافة إلى الخليفة هشام بن عبدالملك وهو على فراش الموت سنة125هـ وبعد وفاته عُزل عن الولاية.

والمعروف أن هذا الوالى وضع حداً للإقسامات والفوضى وبذل ما بوسعه للمحافظة على وحدة الدولة العربية الإسلامية. غير أن تولى عدد من الولاة من بعده وصفهم المؤرخون بأنهم ضعاف لم يرتفعوا إلى المستوى إلى مستوى الأحداث التى وصلت إليها الخلافة الأموية فى بلاد الشام، وفى الوقت الذى كان الأمويون يواصلون فيه سياسة التصفية ضد خصومهم فى المشرق الإسلامى مما جعل الخلافة الأموية تترك بلاد المغرب وأفريقية لمصيرها فانقطعت العلاقة بين دمشق وهذه البلاد التى كانت تشكل إقليماً مهماً من الناحيتين السياسية والاقتصادية بين أقاليم الخلافة مما أفضى فى نهاية المطاف إلى إنتقال أمر المغرب إلى الخلافة العباسية فى العراق والتى قامت على أنقاض الخلافة الأموية، فوضع العباسيون سياسة جديدة تجاه المغرب و أفريقية تقوم على أسس وقواعد مختلفة عما كان فى عهد الأمويين.

سياسة الإنفصال في المغرب الاسلامي

ليس من شك في ان مصير المغرب الاسلامي قد تحدد بالتحولات السياسية التي تشكلت في المشرق الإسلامي بعد قيام الخلافة العباسية ومركزها في العراق اذ بدأت تعصف رياح التغيير بظهور الحركات الانفصالية ذات الطبيعة المتذبذبة بين التأييد والاستنكار للخلافة من بعض الأقوام والقبائل الذين دخلوا الإسلام وصاروا في عداد رعايا الدولة العربية الإسلامية مثل القبائل الغربية والأفارقة وربما كان هؤلاء يشعرون بخيبة الأمل بسبب خضوعهم للسلطة المركزية ولأنظمتها وقوانينها ورسومها وهي خارج حدود بلادهم مما اعتبروه تجاوزا وادحافا لحقوقهم فأوجد لهم متنفسا في الانجرار لهذه الحركات الانفصالية تحت ستار الإسلام فضلا عن امتداد الإسلام في رقعة شاسعة ومترامية تقع بين الصين والمحيط الأطلسي ودخول الأقاليم ذات الطبيعة المتباينة من حيث البيئة والموقع الجغرافي في حوزته جعل هذه الأقاليم ومنها المغرب الإسلامي تدين للسلطة المركزية ردحا من الزمن لن تلبس بعدها أن تعود وتنتظم في حركات مستقلة وانفصالية نتيجة للتصور الإداري والسياسي والعسكري للدولة العربية الإسلامية وعدم سيطرتها وبسط نفوذها وبسبب تنائي هذه البلدان عن مركز الحكم ولا ريب في أن ظهور المغرب الإسلامي بشكله المنفصل قد تمثل بصورة واضحة بقيام إمارتي الخوارج الأباضية والصفرية في المغربين الأوسط والأقصي وكذلك في إمارة الأدارسة في المغرب الأقصي حيث شغلت هذه الإمارات الامتداد السياسي من البحر المتوسط شمالا حتى أواسط أفريقيا الوسطي جنوبا ومن (تونس) شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا مضافا إليها مناطق المغرب الأدني وبعض المغرب الأوسط الشرقية التى امتد فيها نفوذ إمارة الأغالبة الموالية للخلافة العباسية وكانت السياسة التي اختطها المغرب الإسلامي في بداية القرن الثاني الهجري هي سياسة إقليمية انفصالية تمثل في واقعها المصالح الإقليمية للأقوام التي كانت منضوية تحت لواء الخلافة الأموية

والظاهر أن هذه الأقوام قد حققت أهدافها الاستراتيجية بظهور كياناتها السياسية المتمثلة بالإمارات والدويلات التي تبنت سياسة تخالف تماما سياسة إمارات المشرق الإسلامي التي ظلت موالية للخلافة العباسية أن قيام الإمارات المستقلة في المغرب الإسلامي هو صورة جديدة للأوضاع السياسية وقد أوهنت كثيرا في نفوذ الخلافة العباسية وقلصت من مواردها البشرية والمدية إلي حدود قصوى مما أضعفها ومهد إلي أحداث رهيبة ومفجعة للعالم الإسلامي بأسره وذلك بعد مضي ما يقرب مكن ثلاثة قرون من قيام هذه الإمارات حيث تدفقت علي العالم الإسلامي سيول الصليبيين لتعبث في المشرق الإسلامي وخصوصا في بلاد الشام وفلسطين ثم الارتياح المغولي لحواضره ومدنه وبث الرعب والهلع من المسلمين مما أدي في النهاية إلي إسقاط الخلافة العباسية وتدمير بغداد قلب العالم الإسلامي ومحور تمدنه وحضارته ولكن علي الرغم من ذلك وانشغال هذه الإمارات في الصراع السياسي والعسكري فيما بينهم فقد كانت لها جهود مثمرة في نشر الإسلام وتقديم ما هو جديد للحضارة العربي الإسلامية وخصوصا الأغالبة والأدارسة والرستميين الذين ساهموا في ترسيخ بعض المفاهيم الحضارية وكذلك الفاطميين والمرابطين والموحدين وورثتهم من بني مرين وبني عبد الواد وبني حفص حيث يمكن أن ناكد دورهم في تعزيز مكانة الحضارة العربية الإسلامية في المغرب والأندلس.

وهكذا توزع ولاء العناصر التي كان يتكون منها سكان المغرب وخصوصا القبائل المغربية والاندلسيين والأفارقة بين الخوارج [1] والعلويين [2]

---

[1] للأستزادة عن الخوارج انظر المبرد – أخبار الخوارج(للكتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف) يوليوس في الهاوزن – الخوارج والشيعة عمر أبو النصر – الخوارج في الإسلام د/ سهير القلماوي– ادب الخوارج في العصر الاموي د/ محمود اسماعيل الخوارج في المغرب الإسلامي د/ نايف محمود– الخوارج في العصر الاموي.

[2] الطبري وتاريخ الرسل والملوك– الاسفهاني– مقاتل الطالبيين– بن الاثير– الكامل في التاريخ– د/ فاروق عمر فوزي– العباسيون الأوائل، طبيعة الدعوة العباسية، د.حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية.

وموالي بني أمية [1] الذين تلقاهم المغرب عن المشرق فظهرت اتجاهاتهم وتبلورت علي شكل حركات ثلاث الأولي حركة العلويين وأنصارهم قد بنت هذه الحركة ادعائتها بحقها الشرعي في الخلافة لانهم أئمة ورثو علم النبوة وتحملوا عبئ الدعوة لإسقاط الحكم الأموي[2] وقد جعلوا من المغرب ميدان لمقاومة السلطة المركزية والانفصال عنها.

أما الحركة الثانية فهي حركة الخوارج الذين تبنوا المبادئ الحرة التي كانت تنزع إليها القبائل العربية حيث كان اغلب الخوارج من العرب ولعل البوادر الأولي لأفكار الخوارج ظهرت في منطقة الجزيرة الفراطية بين دجلا والفراط شمال العراق وجنوب بلاد الشام اذ كانت مضارب للقبائل العربية النازحة من الجزيرة العربية وكان الخوارج يفضلون الالتجاء إلي مناطق التي تتفق روح أهلها مع مبادئ الحرية لأنها الأساس الذي يقوم عليه مبدأ الخوارج في تبرير الانفصال عن الخلافة ومقاومتها حيث يا كدون أن الإمامة(الخلافة) هي حق متاح لكل مسلم والظاهر أن ذلك يتفق مع نزعة القبائل المغربية الذين حرموا من المساواة.

ونتيجة للإتصال الذي حصل بين الخوارج وبعض القائل المغربية في المغرب بدأت تظهر روحية جديدة لهذه القبائل تغلب عليها النزعة الانفصالية عن الدولة الأموية وتعبر عن نفسها بالتمردات والحركات والثورات ضد عمال الدولة وولاتها هناك وقد استمر الحال حتى خلال العهد العباسي حيث عامل بعض الولاة السكان معاملة دفعت البعض منهم إلي تقبل الآراء الانفصالية ولهذا فما دامت حركات القبائل هذه قد اكتسبت الطابع الانفصالي فهي تلتقي مع أفكار الخوارج في وقوفها ضد الأمويين وولاتهم لأن هذه الأفكار تتسم بالوضوح وعدم الميل إلي الفلسفة

---

[1] وهم الأمويون ومناصروهم الذين أموا المغرب اختيارا أو قسرا هروبا من البطش العباسي وملاحقاتهم.

[2] من الحركات العلوية في العصر العباسي الأول حركة المدنية سنة 144هـ التي قادها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الذكية وهي من اشهر حركاتهم ولكن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور قمعها كما اخمد ثورة إبراهيم أخي محمد النفس الذكية في العراق سنة 145هـ(الاصفهاني-مقاتل الطالبيين-الطبري تاريخ الرسل والملوك-بن الاسير-الكامل في التاريخ)

والتأويل[1] وهي تتلاءم مع عقليتهم وطبيعتهم التي أشار إليها صاعد الاندلسي بتمسكهم بالشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم للدين[2] وقد أكد السلاوى أن مبادئ الخوارج تتلاءم مع الطباع الفطرية لبعض القبائل في المغرب وتتمشي مع أهدافهم السياسية و تخدم شعورهم. فقال: " وحسن موقعها- أي مبادئ الخوارج- لديهم بسبب ماكانوا يعانون من وطأت الخلافة القرشية وجور بعض عمالها فلقنهم أهل البدع- أي الخوارج – أن الخلافة لا يشترط فيها القرشية ودسوا إليهم مع بعض تشديدات الخوارج وتعمقاتهم واروهم ما هم عليه إنما هو من اثار الخشية لله والخوف منهم وان ذلك هو عين التقوى المأمور بها شرعا "[3]

ويتبين لنا، أن القيروان كانت مركزاً لدعاة الخوارج حيث كانوا يتصلون بالمغاربة فانتشرت أراء الأباضيين[4] والصفريين[5] بينهم فضلاً عن جماعات الأفارقة وجماعات السودان القاطنين جنوبى الصحراء ولم تمضي إلا فترة قصيرة حتى تغلغل الخوارج في سائر أرجاء المغرب الأقصي وبعض نواحي أفريقيا

---

[1] فخر الدين الرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص 40

[2] طبقات الأمم ص 12.

[3] الاستقصا لأخبار المغرب الاقصي ح 1 ص 123 (أن قول الخوارج بالاستعراض ورفض اتقية والامر بالمعروف والنهي عن المنكريقابلها لدي قبائل اغلمغرب شدة الميراس وقوة الباس والميل للتطرف) الاسفرائيني التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرة الهالكين ص 142.

[4] الاباضية فرقة من فرق الخوارج تنسب الى عبد الله بن أباض ألمري التميمي وكانت لهم في مدينة البصرة في العراق مقرات سرية يجتمع فيها دعاتهم وانصارهم لدراسة المذهب وقد اصبحت لفهم التنظيملت دقيقة مبنية علي اسس مدروسة ويعد جابر بن زيد الازدي العماني المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة وكان من اعظم علماء عصره بالشريعة والفقة الإسلامي وكان خليفته أبو عبيده مسلم بن أبي كريمة أدرك صعوبة نجاح الاباضية في المشرق فرأي إن ينطلق الدعاة إلي بلاد المغرب انظر للاستزادة: د. سوادي عبد محمد – اباضية البصرة وتأثيراتها الفكرية والسياسية في اباضية المغرب في القرن الثاني الهجري بحثه في مجلة كلية التربية العدد8 – 1982.

[5] تنسب إلي عبد الله بن صفار مؤسسها وان أول من جاء يطلب مذهب الصفرية بقيروان افريقية عكرمة مولي بن عباس حيث قدم من العراق ومعه سلمة بن سعيد يدعو إلي الاباضية (أبو ذكريا- السيرة الورقة 12 وإخبار ألائمة).

والمغرب الأدني وقد أكد ذلك بن خلدون بقوله:" أن الصفرية قد فشت مقالاتها في سائر القبائل بافريقية " [1] .

كما ظفرت بلاد المغرب باهتمام الاباضين حيث أصبحت ميدانا لتحركات الخوارج فمنذ أوائل القرن الثاني الهجري اجتهد الاباضيون لنشر أرائهم بين المغاربة فاكتسبوا كثيرا من الأنصار و المؤمنين في إقليم طرابلس و جبل نفوسة حتى أصبحت منطقة هذا الجبل (دار هجرة) للأباضين في المغرب عامة [2] و لعل رسوخ المبدأ الإباضي في جبل نفوسة مهد الطريق لانتشاره بين قبائل، هوارة و لماية و زناتة و سدراتة و زواغة و لواتة و بين كثير من القبائل المغربيين الأدني والأوسط و هكذا أصبحت بلاد المغرب في أقل من ربع قرن، معقلا لنشاط الخوارج وبدأو أحقبة جديدة في تاريخ هذه البلاد حيث عملوا علي انفصالها عن الدولة العباسية و بذلك استطاع الأباضيون و الصفريون إقامة إمارتين قدر لهما أن تلعب دورا مهما في تاريخ العالم الأسلامي.

غير أن حركات الخوارج كانت تعاني من السلبيات المتمثلة بعدم التعاون بين الأباضيين و الصفريين في المجالات السياسية و الدينية فضلاً عن الخلافات فيما بينها وبخاصة فيما يتعلق بالموقف من الخلافة العباسية كما عانت تنظيماتهم وحركات من الانشقاقات بسبب سوء فهمهم لمبادئ بعضهم البعض الأخر و إسرافهم في تطبيق تعاليمهم وعدم وجود أي تنسيق بين حركاتهم في المغرب مع ما يشابهها في المغرب مع يشابهها في المشرق الاسلامي من حركات وثورات أما الحركة الثالثة التي كان من المقدر أن يشهدها المغرب الاسلامي فتتمثل ببعض الجماعات من أمويي الشام الذين نجحوا من مطاردة العباسين مع موالهم و فلولهم إذا التجؤا إلي هذه البلاد ملتمسين إعادة مجد دولتهم في هذا الطرف البعيد عن مركز الدولة العربية العباسية بكونهم يمتلكون سابقة في الحكم و لهم تراث فني

---

[1] العبر وديوان المبتدا والخبر ج4 ص189.

[2] ابن حوقل صورة الأرض ص 68.

يستندون إليه في قواعد الحكم غير أنهم لم يلبثوا أن اتجهوا بأنظارهم نحو الأندلس بسبب ظروف المغرب غير المواتية لهم في استقطاب القبائل المغربية التي لاقت الأمرين من المؤيدين والأنصار و كان عبد الرحمن بن معاوية الداخل يتزعم هذه الحركة فكان ينتقل في ربوع المغرب مستترا بواسطة قبيلة نفزة الذين هم أخواله[1] لعلة يجد له موطأ قدم و ذلك قبل أن يمهد لنفسه و لأتباعه للعبور إلي الأندلس.

ولا شك في أن عبد الرحمن بن معاوية وأنصاره من الأمويين ومواليهم لم يقتنعوا بدورهم في افريقية ولم يجنوا منها ربحاً، حيث صدموا بواقعها الذي لا يخدم طموحهم و لا يحقق أهدافهم في إقامة دولة الأمويين هناك فكان المغرب بقبائله و فصائل ينظرون إلي الأمويين، نظرة شك فلم يلقوا منهم التأييد حيث كان بعض ولاة الأمويين قد عاملوا السكان معاملة فيها كثير من الازدراء والاضطهاد و زعموا أن قبائل المغرب تمثل فيئاً للمسلمين.

---

[1] علي الرغم مما كان يربط بين قبيلة نفزة و الأمويين من أواخر النسب و القربى فقد كانت أم عبد الرحمن و اسمها راح أو ردان من سبي هذه القبيلة ولكن لم تنفع محاولات أخواله في إقناع أهل المغرب بإقامة امارة مستقلة هناك الأمر الذي جعل الأمويين يتجهون صوب الأندلس علي أية حال فإن المعلومات قليلة جدا عن النشاط الذي ابداه الأمويون في المغرب لإقامة دولتهم 0 مجهول أخبار مجموعة ص 55 ابن عذاري البيان المغرب ص 61، 71